الفصل الثامن عشر

جماعات الضغط الصهيونية

"لوبي" كلمة إنجليزية مكتوبة بحروف عربية أصلها Lobby، معناها واسع إذا أردنا وضعه في الفهم العربي للكلمة، لوبي معناها ردهة أو واجهة أو ساحة أو ممر عام داخل عقار مغلق أو مكان يلتقي فيه الناس بدون رسميات أو يلتقي فيه من يريد أن يقابل من يريد أو ينتظر به من يتصيد لقاء شخص ما بطريقة عابرة أو هو وسيلة لمن لا يستطيع مقابلة شخص هام إلا بالمغامرة للحصول على ضربة حظ أو يلتقي فيه شخصان أو أكثر باصطناع الظروف كأنهم يلتقون صدفة أو يلتقون عن قصد وعن تعمد. اللوبي، يمكن أن يكون واجهة الاستقبال لأحد الفنادق أو الدوائر أو المؤسسات أو الوزارات أو هو مكان للاستراحة أو الدعة أو لقضاء وقت لانتظار قضية ما أو شيء أو لعمل صفقة مالية أو سياسية أو عقد لما يمكن أن يتم بين الناس.

من هنا، فإن معنى لوبي واسع كما أشرنا، وربما معناه أكثر طولاً وعرضًا مما ذكر، لكنه ببساطه مكان يمكن استخدامه للتعارف أو التحاور أو الاتفاق أو التآمر أو هو أحد الوسائل الحديثة التي تتم فيها قرارات واكتشافات، وقد يلتقي في اللوبي رجال السياسة أو القانون أو الزعماء أو الضيوف أو من يريد عمل شيء أو الحصول على شيء لا يستطيعه بالوسائل التقليدية الرسمية أو غير الرسمية، أيضًا يمكن أن يقال بإن اللوبي هو المكان الذي يتم فيه تبادل المصالح، لذا فقد أوجز المعنى المجازي كاصطلاح سياسي في شمال أمريكا بالتحديد بكلمة واحدة هي لوبي، فأصبح معنى لوبي (نقلاً عن شمال أمريكا) شائعًا ومفهومًا بين معظم أفراد الشعوب في العالم.

لقد شاع في الولايات المتحدة وجود جماعات تسمى إحداها لوبي أو بالأحرى تسمى جماعة الضغط، فيمكن أن يقال "لوبي" أو جماعة ضغط شركات البترول أو جماعة ضغط شركات الأسلحة أو جماعة الضغط الصهيوني على صناع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية، في الولايات المتحدة هناك جماعات ضغط علنية، وأخرى علنية ولكن دون أن يستطيع القانون أن يطالها، في دولة كالولايات المتحدة التي يحكمها القانون يستطيع المواطن أن يحقق فائدة إذا استطاع أن

يخدع أو يتغلب على القانون، وليس التغلب على القانون هو تجاهله أو ضربه بعرض الحائط، إنما يمكنه أن يتحدى القانون علنًا، فإن استطاع أحد ألا تطاله مواد القانون أو اللوائح المعمول بها أن يحقق فائدة أو يتملص من دفع استحقاق، فإنه يكون قد تغلب على القانون ونفذ من إحدى ثغراته، وفي تلك الحالة يكون العيب من القانون الذي لم يغطي الثغرة التي استطاع أن يتسلل منها من يهزم القانون، لهذا هناك اصطلاح أيضًا في أمريكا الشمالية يردده الناس ويتندرون به، فيقولون إن فلانًا أو شركة ما سواء كانت شخصية طبيعية أو اعتبارية تغلبت على القانون أو على النظام العام في الدولة.

وكون المجتمع الأمريكي أو الكندى وما شابههما من مجتمعات متعددة الثقافات بسبب إنها مجتمعات شكَّلها المهاجرون إلى العالم الجديد، فتوجد جماعات الضغط الاثنية مثل اللوبي الإيطالي، اللوبي اليوناني، اللوبي الفرنسي، اللوبي الأيرلندي، اللوبي اليهودي، اللوبي الصهيوني، اللوبي العربي، اللوبي الكاثوليكي، إلى أخره من أسماء وأنماط لها علاقة بأوجه الحياة أفقيًا ورأسيًا.

اللافت للنظر أن المجتمع الأمريكي كونه مجتمع الدولة الأعظم، فإنه يتمتع باستقرار وحركة ديناميكية لا توجد في أي مجتمع آخر حتى الوقت الراهن، فهو مجتمع الحركة الدائمة والعمل الدائم، ومجتمع التفوق على نفسه، فإن لم يجد ما ينافسه تحدى نفسه وراح يهزأ بما بين يديه ويسعى إلى تغييره فيتغير هو لأن عجلات المركبة تظل تدور، ولأن المجتمع الأمريكي مجتمع نقابي من الدرجة الأولى وهذا وصفًا للمجتمع لا مدحًا له، ولأنه مجتمع عريض ٥٠ ولاية أو دولة متجانسة في كل شيء تقريبًا، وجميعها داخل إطار نظام واحد، فقد أصبح مجتمع ديمقراطيات جماعات الضغط كما أسماه الدكتور عبد الوهاب المسيري، فقد يوجد لوبي للمصالح البترولية في ولاية أو أكثر من ولايات الجنوب الأمريكي، ولوبي آخر يحمل نفس الصفات في ولاية أخرى، ولوبي ثالث من نفس النوع موقعه في ولاية ثالثة، فالثلاثة ما داموا يختلفون فقط في أماكن تواجدهم ويجمعهم التخصص والفكرة، فإنهم يتكتلون ويتحدثون بصوت واحد، وقد يكون لهم

كومنولث له ممثلين وناطقين بلسان الجميع، فيعتبرون لوبي جماعة جماعات المصالح البترولية، فيكون اللوبي الكبير عبارة عن شبكة من الخلايا المتماسكة التي كلما ازداد عددها زادت قوتها وأثرها، اللوبي يختلف طبعًا عن النظام النقابي الحزبي إلا أن الحزب في العادة له أهداف عامة مكتوبة ومعلنة، واللوبي أهدافه غير المعلنة هي الأهداف الحقيقية وفوق هذا لا تكون مكتوبة، في شمال أمريكي يستطيع اللوبي القوي أن يتحدى القانون ويرفضه ويُغيره عن طريق المُشرعين في مجلسي النواب والشيوخ عن طريق المساومة والإقناع.

لقد استطاعت جماعات الضغط في المجتمع الأمريكي أن توجد وسائل أخرى للتأثير على النظام الانتخابي الديمقراطي كبديل في بعض الأحيان إذا لم تتمكن بالطرق التقليدية الشائعة أن تؤثر في الانتخابات العامة مثلاً، بمعنى أنه لم يَعُد هناك نظام ديموقراطي تقليدي يُعبِّر عن مصالح الناخبين مباشرةً حسب أعدادهم (لكل رجل صوت) بل أصبح النظام يُعبِّر عن كمية الضغط التي يمكن أن تمارسها جماعات الضغط (لوبي) على الزعماء والمُشرعين، سواء عن طريق الإعلام المملوك لهذه الجماعات أو الإعلام المستأجر أو عن طريق الابتزاز بكشف المستور أو بتقديم الرشاوى المباشرة وغير المباشرة لأفراد العائلة أو للوسطاء أو للعملاء المندسين في الأجهزة والمؤسسات الرسمية للدولة، لهذا أصبح المواطن الأمريكي مثلاً، لا يُمارس حقوقه مباشرة بل عن طريق جماعات الضغط التي تقوده في النهاية إلى ما تقتضيه مصالحها.

تُرى، هل الحق الذي تمنحه الدولة الصهيونية للمستوطنين اليهود باقتناء السلاح واستعماله في قتل العرب واغتصاب أملاكهم، له علاقة بمغزى ما مع جماعة الضغط في الولايات المتحدة التي تُدافع بشدة عن المواطنين الأمريكيين في اقتناء الأسلحة النارية غير المرخصة لاستخدامها للدفاع عن النفس أيضًا، تُرى ممن تتكون هذه الجماعة ومن يقف خلفها ويُصر على بقائها علمًا بأن الولايات المتحدة لديها أكبر وأقوى نظام أمني فعال في العالم؟! إذا لم يكن للصهيونية لوبي بالولايات المتحدة الأمريكية فلمن يكون!

إن لجنة الشئون العامة الإسرائيلية (ايباك) في أمريكا مثال واضح وعلني، وهي تقوم على خدمة ورعاية مصالح الدولة الصهيونية، ولها تأثير كبير وحاد على المرشحين في الانتخابات خصوصًا ما كان له علاقة من بعيد أو قريب بإسرائيل، تعمل ايباك مثلاً على تجميع الطاقات والإمكانيات والعقول من أجل التأثير على نتائج الانتخابات بتفضيل مرشح على آخر، فنرى أن كل المرشحين للرئاسة الأمريكية يقومون بزيارة مجاملة للدولة الصهيونية قبل إجراء الانتخابات، ونراهم يتسابقون في إصدار التصاريح الضمنية والمؤيدة لإسرائيل، وتُصبح المنافسة بين المرشحين للرئاسة على من يستطيع أن يكسب رضا لجنة الشئون العامة الإسرائيلية (ايباك)، ونجد أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي يتحدث عنها وعن مصالحها بكثرة المرشحين للرئاسة الأمريكية.

يعمل اللوبي الصهيوني على جعل قوة أصحاب رأس المال اليهود من أعضاء جماعات الضغط اليهودية بأمريكا هي التي تصنع القرار الداخلي في الكونجرس، وتكون أيضًا وسيلة ضغط على مخططي السياسة الخارجية لكل ما يتعلق بالدولة الصهيونية، فيلوحون مثلاً بالمساعدات والدعم والمساندة للمرشح الذي يلتزم بما هو مطلوب، ويلوحون بالخسارة لمن لا يوضح موقفه من إسرائيل، لذلك تجد المرشحين الذين لهم علاقة بالسياسة الخارجية الأمريكية، لا يملك الواحد منهم إلا أن يُعلن موقفه، وإلا فإن اسمه يسقط منذ الأيام الأولى لبداية الحملة الانتخابية، ولوبي مثل جماعة ايباك إن قالت نفّذت.

إن اللوبي الصهيوني هو شبكة تنظيمية، تعمل داخله عدد من الجمعيات والاتحادات والتنظيمات اليهودية والصهيونية المختلفة، من هذه المؤسسات: مؤتمر المنظمات اليهودية، المؤتمر اليهودي العالمي، اللجنة اليهودية الأمريكية، اللجنة اليهودية الأمريكية، المؤتمر اليهودي الأمريكي، المجلس الاستشاري القومي لعلاقات الجماعات اليهودية، وهذه الأجهزة تُنسق فيما بينها وتوزع الأدوار، ولنا أن نتخيل ما يمكن لهذه الأجهزة أن تُقدم من دعم مادي وإعلامي

لكل ما يخص الدولة الصهيونية، سواء على الصعيد الداخلي الأمريكي أو ما كان له علاقة من بعيد أو قريب بإسرائيل.

بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، قيل إن عمدة نيويورك رفض استلام شيك بمبلغ عشرة ملايين دولار مقدم من رجل الأعمال العربي "الوليد بن طلال"، وذلك كمشاركة وتضامن لمن تضرروا في الحادث، فلولا أن هناك من أوعز وأثَّر على الجهة التي كانت ستستلم الشيك برفضه لما كان هناك مبرر للرفض، فمن يا ترى يمكن أن تكون تلك الجهة التي فرضت ألا تقبل العشرة ملايين دولار؟!

لا شك بأن المؤسسات الصهيونية التي تمت الإشارة إليها، قد يكون لها أعمال ومصالح أخرى لخدمة أعضائها، لكننا أحببنا أن ننوه إلى خبرة المنظمة الصهيونية في كيفية جعل المال سلاحها الفعال حينما كانت تساوم الدول والإمبراطوريات لحل مشاكلها الاقتصادية، منذ أن كان المهاجرين اليهود الروس مسألة ومشكلة لأنفسهم ولدول أوروبا الغربية، في تلك الأيام كان أثرياء الصهيونية وزعماؤها يقرنون كل التماساتهم أو مطالبهم من الدول المختلفة بأنهم مستعدون لدفع المال بأي صورة يقبلها الطرف الذي يتفق معهم، فكيف الآن والدولة الصهيونية قوة اقتصادية وعسكرية، وزعماء الدول كافة يحجون إلى تل أبيب إما استحسانًا للحصول على التأييد في بلادهم أو استعدادًا لتقديم العون إلى الدولة الصهيونية في أمر ما.

هذا، وتوجد جماعات صهيونية أخرى غير ايباك بالولايات المتحدة، هدفها كسب تعاطف الرأي العام الأمريكي مع الدولة الصهيونية، وقد تأسست تلك الجماعات في البداية من أجل قيام دولة لليهود في فلسطين ثم تحولت بعد ذلك إلى العمل من أجل إشاعة فكرة حسنة عن إسرائيل لدى الأمريكان، فقامت بإنشاء مشاريع مختلفة في الولايات المتحدة، كالمدارس التي تُعلم اللغة العبرية، والمستشفيات، وإنتاج الأفلام الدعائية لإسرائيل، وعمل رحلات مجانية للباحثين والسياسيين وعلماء الآثار والسياحة، من تلك الجماعات: المنظمة الصهيونية الأمريكية،

والتحالف العمالي الصهيوني، والهاداساه، ومنظمة النساء الصهاينة في أمريكا وغيرها.

تمتاز هذه الجماعات بأنها مترابطة ووسائل الاتصال بينها سهلة، ولها مقدرة على خلق أنشطة ومشاريع تهم المواطن الأمريكي بكفاءة واقتدار كونها تُقدم أعمال نموذجية من ناحية دقة النظام وتفوق الأداء، وهو ما يجعلها مميزة في بيئاتها إذا ما أريد مقارنتها بغيرها، فعادة ما يكون موظفيها مدربين جيدًا ويعرفون وعلى دراية تامة بما يجب أن يقوموا به إذا ما احتاج الأمر شيئًا ما له علاقة بإسرائيل، لهذا تجد التكتل والاستنفار على أشده إذا ما دعا الداعي، فتجد كل طرف يتحدث من موقعه والكل بصوت واحد عما يخص إسرائيل، وسرعان ما تجد أن الدنيا تقوم ولا تقعد إذا ما جد الجد، إن لدى هذه الجماعات بيروقراطية مركزية لها القدرة على الربط الدائم بين جميع اليهود النشيطين سياسيًا على مستوى أمريكا كلها.

أيضًا يعتبر "المؤتمر اليهودي الأمريكي" من أهم المؤسسات الصهيونية الأمريكية الفاعلة في الولايات المتحدة، وقد انبثق عن المؤتمر اليهودي الأول الذي عُقِد عام ١٩١٨م قرارات عدة منها؛ العمل على حماية حقوق الإنسان اليهودي داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها، ودعم فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين، وتعود فكرة المؤتمر "المنظمة" إلى عام ١٩١٥م حينما تزعم الدعوة إليه "لويس براندیز" و"ستيفن وايز" وغيرهما من زعماء الحركة الصهيونية، والمؤتمر اليهودي الأمريكي يتألف من المنظمات اليهودية التي كانت قائمة أصلاً وكبديل عن اللجنة اليهودية الأمريكية التي كانت تُمثل البرجوازية اليهودية ذات الأصول الألمانية، التي كانت موضع انتقاد لرفضها الصهيونية، هذا ولقد شارك المؤتمر اليهودي في مؤتمر فرساي لتأكيد الحقوق اليهودية، وتزعم الحملات والمظاهرات المناهضة للنازية في الثلاثينات والأربعينات، وبعد قيام إسرائيل عمل المؤتمر اليهودي على بث الإعلام المسيء للعرب في أمريكا، وهاجم الشخصيات والمنظمات الحقوقية اليهودية وغير اليهودية التي حاولت أنصاف العرب.

يُعتبر المؤتمر اليهودي منظمة دينية معفاة من الضرائب، فلا يتوجب أن تقدم تقريرها السنوي علنيًا، ويبلغ عدد أعضاء المؤتمر حوالي خمسين ألفًا، ومنذ عام ١٩٣٨م تحول المؤتمر من عضوية المنظمات إلى عضوية الأفراد، ويُعقد المؤتمر كل عامين ويحضره شخصيات من إسرائيل وأمريكا على مستوى رفيع، أما المؤسسات والمنظمات والجمعيات اليهودية والصهيونية في أمريكا فحدث ولا حرج، هناك المئات من هذه المنظمات وكل واحدة لها هدف، هناك منظمات للنساء وللشباب، ولمحاربة التمييز العنصري ضد اليهود في أمريكا، ولمساندة إسرائيل، وللاعتناء بحقوق اليهود داخل أمريكا وفي إسرائيل وفي الخارج، بل وهناك منظمات دعاة السلام، ومنظمات بحثية تراثية وسياسية، ومنظمات لجمع التبرعات لإسرائيل ومنظمات حتى لتشجيع السياحة في إسرائيل، هناك منظمات يهودية أيضًا ضد المؤيدين للحقوق الفلسطينية بل وإن تهمة العداء للسامية تلصق بمن يؤيد الفلسطينيين وكذلك بمن ينتقد الصهيونية.

المنظمات التالية هي المنظمات اليهودية الأمريكية التي تنتمي للمؤتمر اليهودي الأمريكي:

المؤتمر اليهودي الأمريكي، مجلس الاتحاد الأمريكي لعمال إسرائيل، اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة، الاتحاد الصهيوني الأمريكي، بناي بريت، هاداساه، لجنة العمال اليهودية، قدامى المحاربين اليهود، المنظمة الصهيونية للعمال في أمريكا، منظمة مزراحي الأمريكية، اللجنة الاستشارية للعلاقات الطائفية القومية، اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية، اتحاد الطوائف اليهودية الأرثوذكسية، المعبد اليهودي المتحد في أمريكا، المنظمة الصهيونية في أمريكا، نساء مزراحي الأمريكيات، عُصبة مناهضة الافتراء، نساء بناي بريت، بني تسيون، المؤتمر المركزي للحاخامين الأمريكيين، نساء إيموناه في أمريكا، صهيونيو حيروت، الصندوق القومي اليهودي، المؤسسة اليهودية لإعادة الإعمار، الاتحاد الصهيوني للعمال، اللجنة القومية لعمال إسرائيل، المجلس القومي للنساء اليهوديات، المجلس القومي لإسرائيل الفتاة، الاتحاد القومي لأخوات الهيكل، مجلس الإنعاش اليهودي

القومي، مجلس الشباب اليهودي الأمريكي الشمالي، النساء الرائدات، الجمعية العامة الحاخامية، المجلس الحاخامي الأمريكي، منظمة النساء الأمريكيات لإعادة التأهيل من خلال التدريب، العصبة النسائية اليهودية المحافظة، دائرة العمال، المنظمة الصهيونية العالمية (القسم الأمريكي).

الآن، دعنا نتحدث قليلاً عن "اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة" التي اختصارها من الاسم الإنجليزي "ايباك"، تأسَّست هذه اللجنة عام ١٩٥٤م، وهي منظمة أمريكية يهودية الهدف منها التأثير في السياسة الأمريكية بحيث تتفق مع المصالح الإسرائيلية والصهيونية، وهي جماعة ضغط (لوبي) رسمي، تقوم بالدعاية لإسرائيل في المجتمع الأمريكي باسم اليهود الأمريكان، وتعتبر أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة، إن فكرة هذه اللجنة تعود إلى عام ١٩٥١م حينما قرر "أشعياء كفن"، عضو المؤتمر الصهيوني الأمريكي، تكوين لوبي صهيوني بعد أخذ رأي كل من الزعماء الإسرائيليين في ذلك الوقت (أبا إيبان وموشيه شاريت وتيدي كولك)، وقد سجلت ايباك رسميًا في الكونجرس الأمريكي حسب قوانين جماعات الضغط الأمريكية، تلك الجماعات التي يصرح لها بأن تعرض وجهة نظرها أمام الكونجرس ولجانه رسميًا، تعمل لجنة ايباك على مساندة المواقف الإسرائيلية، وتحارب أي تحالف مع العالم العربي يمكن أن يعود بسلبية على إسرائيل، وتعمل على إقناع أعضاء الكونجرس بأهمية إسرائيل لأمريكا وجدوى التحالف معها، ومقدرة إسرائيل على خدمة المصالح الأمريكية، سواء في الحرب الباردة مع الدول الكبيرة أو في محاربة الإرهاب الدولي وما شابه، إضافة إلى أنها تقود الحملات الإعلامية المعادية للعرب، وتعارض مد العرب بالسلاح المتطور.

تُقدم ايباك تقريرًا لكل عضو في الكونجرس عن المواضيع التي تهم إسرائيل، وتؤكد ذلك بواسطة المكالمات الهاتفية والزيارات الشخصية، وتركز على الأعضاء المنتمين إلى لجان الكونجرس الرئيسية الخاصة بالمساعدات الخارجية أو السياسية للدول، وتحتفظ بأسماء أعضاء الكونجرس والشيوخ المتعاونين مع

ايباك، لأجل تكريمهم والاعتناء بهم كلما وقفوا مع إسرائيل في أمر حاسم، يتم الثناء على الداعمين للجنة ايباك بواسطة منشورات اللوبي وحفلات العشاء التي تقام مجاملة على شرفهم، والتبرع لحملاتهم الانتخابية.

تعقد ايباك مؤتمرات سنوية وتدعو كبار الشخصيات، وتعرض في المؤتمر مواقفها السياسية وأولوياتها، وتعلم السلطتين التشريعية والتنفيذية في الحكومة الفدرالية للحزبين الجمهوري والديمقراطي، وتحرص ايباك على موقف الحياد بين الحزبين، وقد عملت ايباك على توسيع دائرة اهتماماتها فاهتمت بالطلبة والكنائس ولدى الأقليات لجمع التأييد لإسرائيل، وحتى في الجامعات أعدت الحلقات الدراسية لمواجهة المناهضين لإسرائيل، كما أنشأت برنامج التقارب المسيحي اليهودي، وكذلك عملت على التقارب مع السود، تهتم ايباك باللوبي العربي المتنامي في المجتمع الأمريكي الذي يُعتبر مصدر قلق رغم عدم فاعليته بعد بسبب ضعف إمكانياته وحاجته إلى التنظيم، لذلك خصصت ايباك لجنة لصد تأثير اللوبي العربي في أمريكا.

تضم اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة في لجنتها التنفيذية رؤساء ثمان وثلاثين منظمة يهودية أمريكية كبرى ولها جهاز دائم للعمل، لها ميزانية سنوية تتجاوز المليون دولار، وتمويلها المعلن يتم عن طريق الهبات والرسوم السنوية للأعضاء، يرأس ايباك مدير تنفيذي، أما منصب رئيس ايباك فيكون في العادة أحد أثرياء اليهود من الشخصيات المعروفة من ذوي النفوذ.

لا شك بأن اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية، استطاع أن يكسب الرأي العام الأمريكي لجانب إسرائيل بسبب نشاطة ومستوى تنظيمه، ويعود هذا النجاح ليس للتنسيق والتنظيم فقط، إنما يعود إلى أن هذه الجماعات عقدت تحالفات مع مؤسسات أمريكية أخرى، مثل العمال والمرأة والمنظمات الدينية وتلك التي تمثل الأقليات، وجمعيات حقوق الإنسان، فتم عقد الحلف الدائم مع مثل هذه الجماعات مع غياب المنافسين جعل الرأي العام الأمريكي متعاطف دائمًا مع إسرائيل وبطريقة منظمة، لذا تجد أن صوت المؤيدين لإسرائيل في المجتمع

الأمريكي كاسح، وهو ما يؤثر أيضًا ليس فقط خلال انتخابات الكونجرس، وإنما في الأيام العادية أيضًا، وحينها لا يستطيع المشرعين في الكونجرس الأمريكي أن يتجاهلوا الصوت اليهودي القوي تحسبًا للانتخابات القادمة.

من المعلوم أن اللوبي اليهودي لا يعمل بطريقة مستقلة عن الحركة الصهيونية، فدائمًا ينسق معها كون الحركة الصهيونية هي المهيمنة على الإعلام الذي يملكه اليهود في الولايات المتحدة، وحتى على مؤسساتهم، لذلك فإن قادة مؤتمر رؤساء المنظمات الصهيونية ولجنة الشئون العامة (ايباك) ينسقون في كل الأمور التي تخص إسرائيل مع السفارة الإسرائيلية، وتبدو قوة ايباك على صور كثيرة نتيجة قوة نفوذها في المجتمع الأمريكي، من تلك الصور:
أن المواطن الأمريكي (اليهودي) يمكنه أن يتبرع من دخله السنوي لإسرائيل وأن يُعفى المبلغ الذي تبرع به من الضرائب المستحقة للحكومة الأمريكية، كما أن سندات الخزانة التابعة للدولة الصهيونية تباع في شمال أمريكا علنًا وتذهب تلك الأموال لاستثمارها في إسرائيل، وليس هذا فحسب بل إن رئيس وزراء إسرائيل هو الوحيد بين زعماء العالم الذي يستطيع أن يتحدى الرئيس الأمريكي في الكونجرس وداخل الولايات المتحدة الأمريكية عبر وسائل الإعلام وفي المؤتمرات العامة.

هذا ويجب أن ننوه إلى أن ايباك وغيرها من الجمعيات والمنظمات التي تؤيد إسرائيل، ليس كل أعضائها من اليهود وإنما أيضًا من قطاعات المجتمع الأمريكي من غير اليهود، مثل الصهيونية المسيحية، وكذلك أصحاب المصالح الاقتصادية في المنطقة، والكارهين للعرب والمسلمين، والذين ما زالوا يعتقدون أن الحرب الصليبية يجب أن تستمر.

من المعلوم أن اللوبي اليهودي الصهيوني يعتمد على قطاع عريض من الناخبين اليهود الذين بينهم عددًا غير قليل من الأثرياء، وأن هذه الجماعة الضاغطة يتبرع أثرياؤها بأكثر من نصف مجموع الهبات للحملة الانتخابية التي يقوم فيها الحزب الديمقراطي خلال الانتخابات العامة، كما أن جزء غير قليل من التبرعات

يُقدَّم أيضًا للحزب الجمهوري حتى لا يُغلق باب قد تأتي منه فائدة، ولإبقاء حافز المنافسة بين الفريقين ولإبقاء الشئون الإسرائيلية موجودة في أدبيات السياسة الأمريكية كجزء من المصالح الأساسية الأمريكية، وفلسفة التبرع للحزبين الكبيرين هي نفسها التي اعتمدها أثرياء الصهيونية في الماضي إبان تواجدهم في أوروبا، أو كما كانت تفعل إمبراطورية روتشيلد في الدول الأوروبية حينما كانت فروعها في باريس ولندن وبرلين وفينا، كل فرع يقدم ولاءه للدولة التي يقيم فيها، يقدم الديون ويمول الاستثمارات حتى لو كانت تلك الدول في حالة حرب مع بعضها، المهم أن أحدهما كان سينتصر والآخر سيصاب بهزيمة والمستفيد في كِلا الحالين هو الدائن والمحتكر.

إن من أسباب قوة ونفوذ اللوبي اليهودي الصهيوني، هو ارتفاع المستوى التعليمي لأعضاء جماعات الضغط إضافة للثراء المتراكم لدى عائلات لا تنتسب في الأصل لوطن معين، هي لا تملك الوطن وليست ملتزمة بصرف الثروة فيه، فالوطن عندها هو المال الذي تقيم عليه كل شيء، وإن شعرت بعدم الاستقرار نقلته إلى وطن آخر يمكن فيه تنمية الثروة بعكس المواطن المنتمي إلى وطن معين، كلما شعر بمزيد من الولاء والاستقرار وزع ثروته على صور مختلفة في وطنه يصعب إعادة تحويلها مرة واحدة إلى نقود متحركة قابلة للنقل إلى وطن آخر مجهول، ثم إن من أسباب تكدس الثروات عند جماعات الضغط خبرتها بالعالم من خلال تواجد الحلفاء والعائلات الموزعة في أنحاء العالم، فهي أول من يكتشف أماكن احتمال حدوث الأزمات الاقتصادية، والعلم يتوقع أين يمكن أن تحدث الأزمات السياسية، فتصير إلى التهيؤ للتكيف مع ما يمكن أن يحدث من نكبات وخسائر وجعلها بأقل خسائر ممكنة، في حين أن الغير الذي يجهل الأمور يتعرض إلى هزات يمكن أن تقضي عليه نهائيًا في بعض الأحيان، أما من استعد للظروف فقد يُحقق ربحًا حتى خلال الأزمات بل يقال إن الاحتكاريين في المجتمع يحققون أرباحًا أكثر خلال التقلبات والحروب، وهم في كثير من الأحيان من يخترعون الأزمات ويصنعون الحروب لخدمة رأس المال الاحتكاري، ولنا أن

نتخيل كم من الثروات قد تراكمت عبر الحقبات والقرون عند العائلات الغنية التي ليس لها ولاء لوطن معين، وتحولت هي إلى حلولية تنشد تقديس ذاتها فتحاول أن تضفي تقديسًا للشخص والعائلة والجماعة، فتسعى إلى حماية ثروتها بجعل الأتباع والموالين بواسطة استعمال جزء من ثروتها فتجعل لها نفوذًا وتأثيرًا على الزعامات الزمنية في المجتمع الذي تعيش فيه لتضمن بقاءها واستمرارها.

لقد أصبح أغنياء جماعات الضغط كأنهم دول داخل الدولة، يتحكمون في اقتصادها وفي الإعلام، ويحتلون سياستها الخارجية خصوصًا ما له علاقة بولائهم لإسرائيل التي يعتبرونها المركز الأخلاقي لتراثهم الحضاري سواء الاثني أو الديني، وحتى العلماني الذي جعل الإنسان الصهيوني إلهًا دنيويًا، هذا بالإضافة إلى أن عدد لا يستهان به من اليهود الصهاينة أو الأمريكيين من غير اليهود، كثيرًا ما أصبحوا يشغلون المراكز الحساسة في مراكز صنع القرار الأمريكي، وهؤلاء هم حلفاء طبيعيون يمثلون جماعات الضغط في المجتمع الأمريكي، وأصدقاء دائمين للدولة الصهيونية.

الجماعات اليهودية في الولايات المتحدة، لأنها على درجة عالية من التنظيم والفاعلية، فإن أعضائها يبدون أكثر عددًا من الرقم الحقيقي لهم في المجتمع، وهذا يصنع لهذه الجماعات هالة دعائية بالتقادم، تتراكم في اللاوعي عند أفراد المجتمع المحلي فتصل إلى مرحلة الإعجاب والولاء والقدوة، ولأن أفراد جماعات الضغط في غالبيتهم من الحرفيين والخدماتيين فقد تواجدوا في الأماكن الحساسة كولايات نيويورك وكاليفورنيا وفلوريدا، وهي الولايات التي تحسم نتائج الانتخابات الأمريكية دائمًا. لهذا أصبح للصهاينة التوطينيين سقف عالي في المجتمع الأمريكي الذي يختزن أكبر اقتصاد في العالم، فلنا أن نتصور والحال هذا حجم الثروة التي يملكها قليل من العائلات في الولايات المتحدة إذا علمنا، أن ٥٠٠ شركة تحمل الجنسية الأمريكية، كان دخلها في إحدى السنوات الماضية مساويًا لنصف الناتج العالمي.

ولأن الناخب الأمريكي بصفة عامة لا يهتم كثيرًا بالسياسة الخارجية بسبب عدم وجود تأثير سلبي على حياته من العالم الخارجي، وكون الولايات المتحدة هي التي تصنع الفعل وليست بحاجة إلى ردود الأفعال التي قد تشغل أفراد المجتمع أو تجعلهم يتنبهون إلى ما يحدث خارج وطنهم، فإن جماعات الضغط الصهيونية تجد راحة تامة ومساحة كبيرة من الحرية، لكي تجعل أولويات السياسة الخارجية الأمريكية هو الاهتمام بما له علاقة بإسرائيل، يمكننا أن نستشعر ذلك إذا ألقينا نظرة على السنين الماضية كيف كان اهتمام الولايات المتحدة بالدولة الصهيونية بل كيف أن السياسة الأمريكية الخارجية استعملت كل طاقتها ووظفتها لِما له علاقة بإسرائيل.

كانت الولايات المتحدة أول دولة اعترفت بقيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، واستعملت حق النقد الفيتو مرات ومرات في مجلس الأمن الدولي لحماية الدولة الصهيونية على مدى سنين وسنين، في عام ١٩٦٧ و١٩٧٣م كان على رأس الدبلوماسية الأمريكية اليهودي الصهيوني "هنري كسينجر"، الذي لعب دورًا بارزًا لصالح إسرائيل إلى حد أنه جعل الولايات المتحدة الأمريكية تُعلن حالة الاستنفار الذري من الدرجة الثانية حينما حاول الروس أن يثنوا إسرائيل عن مواصلتها للحرب ضد مصر، وأمريكا هي من دفعت إلى تدمير القوتين الإيرانية والعراقية في حرب طاحنة لمدة ٨ سنوات لصالح إسرائيل في المنطقة، وأمريكا من قادت إلى توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م، وأمريكا هي من أضعفت الموقف العربي حينما غزت العراق الذي كان يتزعم جبهة الرفض ضد التطبيع مع إسرائيل، والولايات المتحدة هي من فرضت على العرب الجلوس مع إسرائيل في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وأمريكا من أجبرت منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف بإسرائيل مقابل لا شيء سنة ١٩٩٣م (اتفاق أسلو)، وأمريكا من تبنت كل مؤتمرات شرم الشيخ واجتماعات اللجنة الرباعية (أمريكا – روسيا – الاتحاد الأوروبي – الأمم المتحدة) لتخفيف العبء الاقتصادي عن إسرائيل بتقديم مساعدات اقتصادية للفلسطينيين كانت تتوجب أن تقوم بها إسرائيل كونها دولة احتلال مسئولة.

وأمريكا هي من قادت الدول الغنية في العالم لتتقاسم مع الدول العربية الغنية إعادة بناء ما دمرته الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة بدون أن توجِّه لومًا أو تُحاسب إسرائيل على تلك الأضرار الفادحة التي لحقت بالبشر والأملاك بدون مطالبتها حتى بتعويض أضرار الحرب غير المبررة، هذا ولا تحظى دولة في الإعلام الأمريكي كما تحظى به إسرائيل، ولا تنشغل الدبلوماسية الأمريكية بأمر في العالم كما تنشغل بما له علاقة بإسرائيل، وهذا كله لم يكن ليتم إلا إذا كان خلفه قوة متمكنة منظمة وساهرة وتحسب حساب كل شيء، بإيجاز إن الانحياز الأمريكي الذي سببه نفوذ جماعات الضغط في المجتمع الأمريكي، هو ما يدفع السياسة الأمريكية في اتجاه التناقض مع المصالح القومية الأمريكية الحقيقية بما يخدم مصلحة الدولة الصهيونية.

على مدى الحقبات والسنوات ظل المحللون السياسيون والمفكرون العرب حائرون، ويحاولون حل طلاسم مسألة من يتبع الآخر إسرائيل ام أمريكا، وبصيغة أخرى من يوجه الآخر أو من يقود السياسة الخارجية الأمريكية؟ بعد الحيرة والبحث والغوص في المجتمع الأمريكي، وبعد تحسس ثقل الوزن اليهودي الذي تسيطر عليه الصهيونية في الولايات المتحدة، قال البعض إن التناغم في المواقف الإسرائيلية الأمريكية يعود إلى التقاء المصالح بينهما وتطابقها في كل ما له علاقة بالعرب، وقد أوجد هذا الرأي حيرة أكثر من المسألة نفسها، لأن القياس اعتمد على المقارنة بين حجم الولايات المتحدة من كافة النواحي، وحجم إسرائيل والصهيونية ككم رقمي، وهذا بطبيعته ما جعل الآخرين يتخطون هذه النتيجة والجواب، ويذهبون إلى القفز بكل إمكانيات العقل إلى خارج هذا الفهم والاندفاع للبحث عن جواب شافي، وما زال أصحاب العقول الكبيرة يحاولون.

إن طبيعة المجتمع الأمريكي وخصوصيته كمجتمع ينتمي إلى أصول ثقافات متعددة، فرضت عليه أن يصيغ فلسفته على أساس الشعار الذي يقول، إن الوطن الأمريكي للذين ولدوا فيه، وللذين وصلوا إليه الآن، وللذين سيهاجرون إليه مستقبلاً، أو بهذا المعنى، من هذا الشعار يمكننا الاستدلال كيف أن المجتمع

الأمريكي هو بيئة الفرص لأي جماعات اثنية بأن تقوى فيه وتسيطر ويكون صوتها أعلى من أصوات غيرها، لو قارنا الظروف التي قادت إلى هجرة الجماعات الاثنية إلى الولايات المتحدة سنجد أن الجماعات اليهودية تختلف عن غيرها في وجوه كثيرة، فمعظم الآخرين أتوا إلى الولايات المتحدة فرادى وفي أحسن الأحوال كعائلات لا يجمعهم هدف سوى إنهم جاءوا يبحثون عن حياة أفضل، أما اليهود وإن جاء بعضهم كأفراد وعائلات أحيانًا إلا إنهم كانوا أصحاب هدف وقضية، فمن ناحية هم أمة يهودية ليس لها مركز جغرافي وهي جماعات قبلية ولو أنها تأثرت ببعض التنوير والعلمنة، وإن تنقلها الدائم بين الدول والقارات وبقاء التواصل بينها، وتميزها بالاهتمام بالتاريخ، جعلها صاحبة رسالة خصوصًا وأن الولايات المتحدة كانت في البداية بالنسبة لليهود هي ليست أكثر من معبر إلى فلسطين، لهذا نشطت جماعات الضغط الصهيونية وكرست الفكر والإمكانيات إلى أن أضحت مسيرة للسياسة الخارجية الأمريكية في كل ما له علاقة بإسرائيل بل واستطاعت أن تجعل مصالح إسرائيل هي مصالح الولايات المتحدة ونابعة من أمريكيتهم وليس من يهوديتهم، وهو ما انطلى على الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية، وما زال الحال هو هذا بالرغم من وجود المعارضين الذين لا تُسمع أصواتهم بسبب قوة الإعلام الصهيوني وأثره في المجتمع، فهل هذا التعريف مقنع للعقل أن المصالح متطابقة؟

لكن في نفس الوقت، إن من المنطق أنه لو كانت علاقة الولايات المتحدة الأمريكية أفضل مما هي عليه الآن مع العالم العربي لكان أفضل للطرفين وخصوصًا للطرف الأمريكي في الحاضر المنظور، فالعالم العربي منطقة حساسة واستراتيجية وموقع تعود أهميته إلى وجوده بين ثلاث قارات هامة هي أساس العالم، آسيا وأفريقيا وأوروبا، ويشترك العالم معها في حوض البحر الأبيض المتوسط، والعالم العربي منطقة مترامية الجغرافيا وفيها ما فيها من عشرات ملايين البشر، وفيها مخزون البترول الكبير عصب الحياة للصناعات الحديثة، فإن علاقة حسنة بين أمريكا والعرب ستعود بفائدة كبيرة على الولايات المتحدة،

وستعمل على استمرارها وفوق هذا فإن البلاد العربية سوقا مثاليًا للدولة العظمى الصديقة.

لكن الحال في الوقت الحاضر، ليس كما يمكن أن نظن أو كما يمكن أن يتمنى المواطن الأمريكي العادي، لأن هناك ما يمنع ذلك، الولايات المتحدة الأمريكية التي تحكمها هذه المعايير، ما زالت تضع تأييدها المطلق لإسرائيل وما زالت تقف وراءها بقوة وترضع أطفال العرب الكره لأمريكا، ومثل هكذا حال لا يجد المرء تفسيرًا له سوى أن تكون هناك قوة خارجية كبيرة تتحكم بالقرار الأمريكي، وتدعه أولاً يصب في مصلحتها أي المصلحة اليهودية الصهيونية الإسرائيلية، التي يمثلها اللوبي اليهودي الصهيوني، وحتى يكون هناك توازن في إيجاد الجواب المحتمل، لا بد أن نشير إلى أنه من الجائز أن يكون أصحاب القرار الأمريكي هم من يرون المصلحة الأمريكية العليا تقتضي أن تكون العلاقة مع العرب هي ما عليه الآن، لأن نوع العلاقة الحالية بين أمريكا والعرب يجعل العرب أن يظلوا ضعفاء، تأكلهم النزاعات والاختلافات المحلية بينهما، وتباعدهم الفرقة، وتظل إسرائيل أحد الأشياء التي تُبقي العرب غير مستقرين.

إن عملية اتخاذ القرار الاستراتيجي الأمريكي، هي عملية معقدة تؤخذ فيها اعتبارات كثيرة ولا يسمح فيها بالارتجال، فعوضًا عن الأخذ برأي خبراء السياسة والاقتصاد، يؤتى بعلماء النفس والاجتماع، وتخلط الأشياء جميعها، ثم تخضع لعملية حساب بسيطة، يكون فيها ليس مهمًا أن تكون هناك نسبة خسارة عالية، إنما كم سيكون حجم الربح من جراء تلك العملية، فإن كان الربح مُرضيًا فيتحول كل شيء ليصبح آلة للتنفيذ تقاس به الأشياء عند نهاياتها وليس قبل ذلك، كما أن القرارات الاستراتيجية لا تخضع حتى أحيانًا لحساب الربح بقدر ما تكون مهمة لا بد من تنفيذها لحصد ثمن ليس مادي؛ كالنصر في المعركة مثلاً، وإنما لترك أثر معنوي عند العدو بحيث لا يضع نفسه في موقف مرة ثانية بحيث يتعرض لمثل ما حدث له، من الأمثلة التي اتبعتها إسرائيل في استراتيجيتها مع العرب، الحرب التي شنتها على حزب الله عام ٢٠٠٦م حينما استعملت قوة

مفرطة ضد اللبنانيين، هدمت ما هدمت وقتلت ما قتلت، وخربت ما خربت بحجة أسر جنديين صهيونيين من قِبل حزب الله، كان من الممكن أن يفك أسرهما بالمفاوضات وكما حدث بعد ذلك، من نتائج الحرب أن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله قال ما معناه في إحدى خطبه تعاطفًا وتضامنًا مع من تضرروا بفعل الآلة العسكرية الإسرائيلية، قال لو كان يعرف إن النتائج ستكون كما حدث لما تمنى تلك الحرب، كما أن عدد الشهداء والجرحى والآلام، وحجم الدمار الذي أحدثته إسرائيل في قطاع غزة في حربها غير المبررة في يناير ٢٠٠٩م قد ترك أثرًا عميقًا لدى الفلسطينيين الذين لم تصبح أحوالهم أفضل بعد تلك الحرب، بإيجاز إن واضعي القرار أو الخطة الاستراتيجية في الولايات المتحدة لا يخضعون خططهم للارتجال والأهواء الشخصية، وإنما يضعونها ويراعون أن تشتمل على عملية موازنات صعبة ودقيقة بشأن حساب المكسب والخسارة وجدوى القرار.

من المواقف التي اتخذتها أمريكا ومضت في طريقها لكي تحققها، وكانت كمن كان يسير على حد السيف ويظل متوازنًا، هو تدخلها في جمهورية "بنما" في أمريكا اللاتينية، والقضاء على حكم عميلها "مانويل نورييجا"، كانت الولايات المتحدة مدركة بأن تدَّخلها في بنما سيكون له أثر اجتماعي سياسي أي حل مشكلة المخدرات التي تهدد نسيج المجتمع الأمريكي وأمنه القومي وتحسين صورة الإدارة الأمريكية أمام جماهيرها، وتقديمها بأنها جادة في عملية محاربة المخدرات، وكان هذا الثمن أعلى كثيرًا من القول بإن دولة عظمى مثل أمريكا تدخلت في شئون دولة صغيرة وقامت بالقضاء على أحد عملائها النافعين، فحساب الربح والخسارة يتوجب أن يتم في إطار ما يُسمى المصلحة العُليا للدولة، فمصلحة الدولة العليا تحددها رؤى مختلفة لكنها متداخلة كمصالح العقيدة السياسية والدينية التي تستند إليها شرعية النخبة، وليس بالضرورة أن تُمثل مصالح غالبية أفراد المجتمع، فما يكون إنسانيًا وخيِّرًا من وجهة نظر إنسانية، ربما لا يكون صالحًا من وجهة نظر أصحاب القرار.

بالنسبة للعرب والوطن العربي فإن الغرب من خلال نظرته إلى مصالحه البحتة في القرنين الأخيرين يعتبر المنطقة العربية مصدر هام استراتيجي للمواد الخام وخاصة البترول بعد أن زاد الطلب عليه، وأن الوطن العربي مجالاً للاستثمارات، وموقعه الاستراتيجي ضروري لأمن الغرب، وإن لم يكن تحت نفوذ الغرب فإن قوى أخرى طامعة تتطلع إليه، كالاتحاد السوفييتي سابقًا مثلاً، لقد ظل الغرب يُبرر تدخله في المنطقة العربية واحتلالها بادعائه وجود فراغ أمني في المنطقة، كأن الوطن العربي عبارة عن قطعة أرض لا يسكنها شعب له حضارته، أو كأن الوطن العربي هو وجود جغرافي مترامي ولكن بلا تاريخ، في أحسن الأحوال إذا اعتبر الغرب بأن الأرض العربية مسكونة، فهو يعتبر سكانها شعوبًا وقبائل وأقليات بديانات مختلفة ويتحدث غالبيتهم العربية، لكن لا يربطهم رابط حضاري أو اجتماعي واحد، فلكل مصلحته الاقتصادية والسياسية المستقلة التي يسهل تفتيتها بل وعلى هذا الأساس أقام لهم الدويلات الإقليمية، المفهوم الصهيوني عن العرب لا يختلف عن نظرة الغرب لنا، الصهاينة يرون فلسطين أرضًا بلا شعب والضفة الغربية هي يهوذا والسامرة، والشرق الأوسط هو منطقة وليس أكثر، كأن العالم العربي مكان بلا زمان، وجغرافيا بلا تاريخ، وهم دائمًا يتحدثون عن فراغ أمني في المنطقة العربية ولا بد من ملئه.

في القرن التاسع عشر، حينما حاول "محمد علي" والي مصر أن يملأ الفراغ بالوجود القومي العربي، منعه الغرب وحجَّمَه وأعاده الحلفاء الغربيون ليكون بحجم مصر الولاية العثمانية، وفي القرن العشرين، حينما حاول "جمال عبد الناصر" أن يبعث القومية العربية ويملأ الفراغ الذي يدَّعيه الغرب، قامت الدولة الصهيونية بعون من القوى الغربية مجتمعة بالدور الذي وجدت من أجله إلى أن أضحت مصر كسيحة بعد معاهدة كامب ديفيد التي لا تختلف كثيرًا عن معاهدة لندن التي وقعتها دولة "محمد علي" عام ١٩٤٠م بأمر القوى الغربية.

وهكذا فإن الصهيونية ليست مال ونفوذ فقط، وإنما جسم عضوي غربي في المنطقة، يتطابق تمامًا ويتصل مع شريان الحياة الرئيسي للوجود الغربي بل هي

جزء من التشكيل الاستعماري الغربي، فلا يجب التفريق بين المصالح اليهودية الصهيونية مقابل المصالح الغربية، وما الإعلام الصهيوني الذي يُبث في الغرب ضد العرب إلا إنه أداة الصهيونية الرخيصة، وأما الخلافات التي تبدو على السطح أحيانًا بين الصهيونية في إسرائيل وبين بعض المراجع في الغرب فإنه لا شيء، وفي أسوأ الأحوال هي تُشبه الخلاف الذي قد ينشأ بين الدولة الإمبريالية الأم وبين أحد الثغور الاستيطانية التابعة لها، الخلاف الذي سرعان ما يختفي، ويتحول إلى الأسلوب والإجراءات لا إلى الأهداف النهائية، فتراه ينصرف إلى المصلحة الأكثر صوابًا من داخل النسق وليس من خارجه.

إن إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة في هذا العصر، تُعتبر قاعدة غير مكلفة، لأن تقدير الخبراء والاستراتيجيين حسب التكلفة في بدايات القرن الحادي والعشرين، يعتبرون أن الولايات المتحدة الأمريكية لكي تضمن مصالحها في الشرق الأوسط، تحتاج إلى بناء عشرة حاملات طائرات حديثة تُدار بالطاقة الذرية تُكلف خمسين بليونًا من الدولارات لكي تضعها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وبوجود إسرائيل فإنها لا تحتاج إلى ذلك بل إن نقل القوات الأمريكية إلى المنطقة يحتاج إلى شهور، وبوجود إسرائيل فإنها تتم خلال أيام، وهذا ما يؤكد بأن إسرائيل دولة وظيفية.

إذن سر نجاح اللوبي الصهيوني هو كونه يدور في إطار المصالح الاستراتيجية الغربية والأمريكية بالذات، ويعرض دولته كأداة مقابل استمرار وجودها، لأن استمرارها لا يعود لمصدر قوة اللوبي الصهيوني أو للطاقة الكامنة فيه، وإنما بسبب اتفاق مصالحه مع المصالح الغربية ككل، تلك المصالح التي تخلقها الصهيونية إذا لم توجد من خلال فريق التنظير من علماء نفس واستراتيجيين يسهرون دائمًا لصناعة الأحداث التي يمكن أن تُسلِط الأضواء على الدور الصهيوني أو الإسرائيلي.

في سبعينات القرن الماضي استطاعت مخابرات الموساد الإسرائيلي بأن تأتي بطائرة عراقية من طراز ميج الروسية إلى إسرائيل، وقدمتها لأمريكا للتعرف

على أسلحة الروس، وما حادث طائرة الميج إلا شيء يسير لما تقوم به الدولة الصهيونية في خدمة المصالح الغربية، لهذا نجد أن الدولة الصهيونية على علاقة مميزة مع جميع الدول الغربية، ولأنها دولة وظيفية فإنها تحصل على التأييد الفردي والجماعي من الغرب.

إن معظم زعماء الغرب الذين ساهموا في هجرة اليهود إلى فلسطين وقيام الدولة الصهيونية، انطلقوا من مصالح بلادهم لا من دوافعهم أو تعاطفهم الشخصي، ومعظمهم كانوا يكرهون اليهود، وكانوا أعداء للسامية وتواريخهم تُثبت ذلك بدء من نابليون بونابرت في فرنسا، وبالمرستون وشافتسبري وآرثر بلفور ولويد جورج في بريطانيا، وهاري ترومان في الولايات المتحدة، وحينما دعا نابليون بونابرت اليهود للهجرة إلى فلسطين لم يكن هناك لوبي صهيوني قوي أو ضعيف في فرنسا، لكن مصالح فرنسا هي التي جعلت نابليون يُطلق نداءه، وحينما ساهم السياسيون الإنجليز في مساعدة الصهيونية وقيام إسرائيل كانوا ينطلقون من قناعاتهم ومن مصالح بريطانيا، لأن كل هؤلاء الساسة كانوا ممن يكرهون اليهود وبخاصة بلفور الذي كان وراء استصدار قانون الغرباء عام ١٩٥٠م لمنع اليهود من دخول انجلتر، ولم يكن دور الصهاينة في وقت لاحق أكثر من التسول على أبواب الزعماء الإنجليز لاستجداء المساعدة، وفي أحسن الأحوال كانوا يغرون الزعماء الإنجليز ويمنونهم بالوعود في كيف يمكن أن تخدم الدولة الصهيونية مصالح بريطانيا مستقبلاً في المنطقة.

في ألمانيا، كان تأثير الاتحاد الصهيوني الألماني قويًا خصوصًا في الأعوام الخمسة عشر التي كانت فيها رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية في ألمانيا، سواء في كولونيا أثناء فترة رئاسة "ديفيد ولفسون"، أو في برلين أثناء فترة رئاسة "أوتو واربورج"، ولقد ساعد وجود المنظمة في ألمانيا على إحجام الأتراك (حلفاء الألمان) عن اعتقال اليهود في فلسطين، كان الوجود اليهودي نشطًا في ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى، وكان كثير من اليهود يشغلون مناصب مُهمة في الحكومة الألمانية، وكان أهم ثلاث بنوك في ألمانيا يملكها اليهود، وكان

اليهود متغلغلين في الإعلام أيضًا، وقد كان بعضهم يترأس الأحـزاب الألمانيـة، وكانوا نشطين في الحركة الأدبية والفنون بل وصاروا مندمجين إلى درجة عالية في المجتمع الألماني، لقد شارك اليهود في الحرب بالجيش الألماني بنسبة عالية أكبر من نسبتهم في عدد السكان، وكانت لغة المؤتمرات الصهيونية هي الألمانية، وكانوا يتطلعون بأن يكون مشروعهم القومي جـزء مـن المشـروع الألمـاني وبرعاية ألمانيا، في المقابل كان الوجود الصهيوني في انجلتـرا قلـيلاً، وكـان الإنجليز معادين للصهيونية وكان اليهود منعزلين في المجتمع، فلقد كان هرتـزل وأغلب زعماء الحركة الصهيونية من المهـاجرين اليهـود الشـرقيين، وكـان الصهاينة اليهود مندمجين في المجتمع البريطاني، ولم تكـن لهـم قـوة ونفـوذ الصهاينة في ألمانيا، ومع هذا فقد أصدرت بريطانيـا وعـد بلفـور للصـهاينة البريطانيين ولم يحصلوا على مثله من ألمانيا، وهذا يقود إلى علامـة اسـتفهام كبيرة، لماذا لم يجد الصهاينة حلاً عند الألمان رغم نفـوذهم وقـوتهم وعـددهم الكبير وتغلغلهم في الإعلام والسياسة، ووجدوه عند بريطانيا رغم قلتهم وضعفهم وعداء الإنجليز لهم؟! لا نظن بأن الحـديث عـن اللـوبي الصـهيوني والنفـوذ الصهيوني يصلح للإجابة على السؤال الكبير، الجواب الذي لا تسـويف فيـه ولا ينتظر المزيد من التفكير، هو أن المصالح الإستراتيجية الإمبريالية الإنجليزية هي التي دفعت إلى استصدار وعد بلفور، وليس اللوبي الصهيوني أو أي مؤثر خارجي، مقابل أن المصالح الاستراتيجية الألمانية كانت مرتبطة مع الدولة العثمانية التـي كان يربطها تحالف مع ألمانيا، لذا لم تسع ألمانيا لإصدار وعد على شاكلة وعـد بلفور لليهود، ولم تعط اذنًا للمنظمة الصهيونية في ألمانيا، لكن الجـواب علـى السؤال الكبير أيضًا يظل ناقصًا، إذا لم نقل بأن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٧م) واستسلامها، أدى إلى انتقال ثِقل المنظمة الصهيونية إلى بريطانيا، وأصبحت بريطانيا أكثر حرية في التصرف بعد أن احتلت فلسـطين عام ١٩١٧م.

أما بالنسبة إلى النفوذ الصهيوني الكبير في فرنسا فإنه يعود إلى حجم عدد اليهود المقيمين في فرنسا حاليًا، بسبب نزوح أعداد كبيرة من يهود المغرب إلى فرنسا، مما جعل عدد اليهود في فرنسا يربو على الثلاثة أرباع المليون نسمة، وهو عدد كبير نسبيًا إذا قارناه بعدد اليهود في بريطانيا حاليًا، ورغم هذا فإن تأثير يهود بريطانيا ما زال أكبر من تأثير يهود فرنسا، ويعود هذا أيضًا إلى نوع المصالح الاستراتيجية للبلدين، صحيح أن بريطانيا وفرنسا حليفين لأمريكا، إلا أن بريطانيا أقرب في تحالفها إلى أمريكا من فرنسا، بريطانيا ترى أن مصالحها الحيوية أن تكون قريبة من أمريكا، وفرنسا ترى أن يكون لأوروبا شيئًا من الاستقلال بعيدًا عن أمريكا، لذا بقيت فرنسا على مدى عقود مُعلقة عضويتها في حلف الناتو، ولم تستعيد عضويتها إلا عام ٢٠٠٩م، مما سبق نستخلص إلى أن المصالح الاستراتيجية لكل دولة على حِدة هي التي تفرض سياستها الخارجية، وتتحكم في تأييد الصهيونية قليلاً أو كثيرًا، هناك دول مثل بلجيكا وهولندا يكاد أن يكون الوجود اليهودي فيها معدومًا، إلا أنها تؤيد الدولة الصهيونية بقوة، فأين تأثير الوجود الصهيوني في تلك الدول إذا لم تكن مصالحها الاستراتيجية هي التي خلقت هذا التأييد لإسرائيل.

بالنسبة ليهود الاتحاد السوفييتي، في الماضي لم يكن لهم نفوذ فعال فقد كانوا مقموعين إلى حد ما، وكان بين جماعاتهم المتواجدة في دول الاتحاد السوفييتي بعض الخلافات والتفسيرات الدينية، وتم إدماج نسبة كبيرة من يهود اليديشية في المجتمع السوفييتي، من ناحية أخرى فقد حاول الاتحاد السوفييتي أن يقضي على الجماعات الدينية لكي تنصهر في بوتقة الشيوعية الأممية، أما الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد قيام إسرائيل فلم تكن بضغط من النفوذ الصهيوني اليهودي داخل الاتحاد السوفييتي، وإنما بسبب الضغوط الغربية على روسيا السوفييتية وخاصة من الولايات المتحدة، فقد كانت أمريكا تضع شرط السماح للهجرة اليهودية مقابل التعاون الاستثماري والاقتصادي، كان الاتحاد السوفييتي يشتري القمح من الولايات المتحدة، وكانت أمريكا تبذل الضغوط على السوفييت للسماح بهجرة

اليهود، لذلك كانت وسائل الإعلام مرات تُشير إلى أن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي جارية، وأحيانًا أخرى تُشير بأنها متوقفة، وكان المبرر في كِلا الحالين هو العلاقة المتجاذبة أو المتنافرة بين السوفييت والأمريكان، وليس قوة أو ضعف النفوذ الصهيوني في الاتحاد السوفييتي فالمصالح السوفييتية هي التي كانت تسمح أو ترفض.

أما بالنسبة للولايات المتحدة فالحال مختلف تمامًا، لأن النفوذ الصهيوني متغلغل في المجتمع والحياة الأمريكية، وليس له مثيل في الدول الأوروبية التي تحدثنا عنها، وقد أشرنا في مقدمة هذا الباب إلى المؤسسات والاتحادات والجمعيات الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ومدى عمق تأثيرها في المجتمع ومؤسسات الدولة، إن من الضروري أن نؤكد قبل الإسهاب عن النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة، أن نُقر أيضًا بأن المصالح الاستراتيجية الأمريكية هي التي تحدد اتجاه القرار الأمريكي فيما له علاقة بإسرائيل والعرب، وأن اللوبي الصهيوني اليهودي يمكنه فقط أن يُعدِّل ويؤخر القرار أو يؤجله، لكن لا يستطيع أن يلغيه أو يحدده، وترجع ولادة اللوبي الصهيوني وتصاعد نفوذه إلى أن عدد من الرؤساء الأمريكيين كان لهم دور فعال في تحفيز اليهود والمنظمة الصهيونية على أن تُصبح ذات شأن، سواء عن قصد أو عن غير قصد.

من هؤلاء الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون (١٧٦٧ – ١٨٤٥م)، الذي كان قد لعب دورًا رئيسيًا في القضاء على معظم من تبقى من سكان أمريكا الأصليين بل إن أندرو جاكسون لم يتردد في قتل أحد ضيوفه على العشاء بعد أن عرَّضه للسخرية حيث دعاه للمبارزة بالمسدسات على طريقة رعاة البقر، ورغم أن الضيف كان الأسرع في إطلاق النار إلا أن الرصاصة أتت في كتف الرئيس فرد عليه الرئيس برصاصة في الصدر.

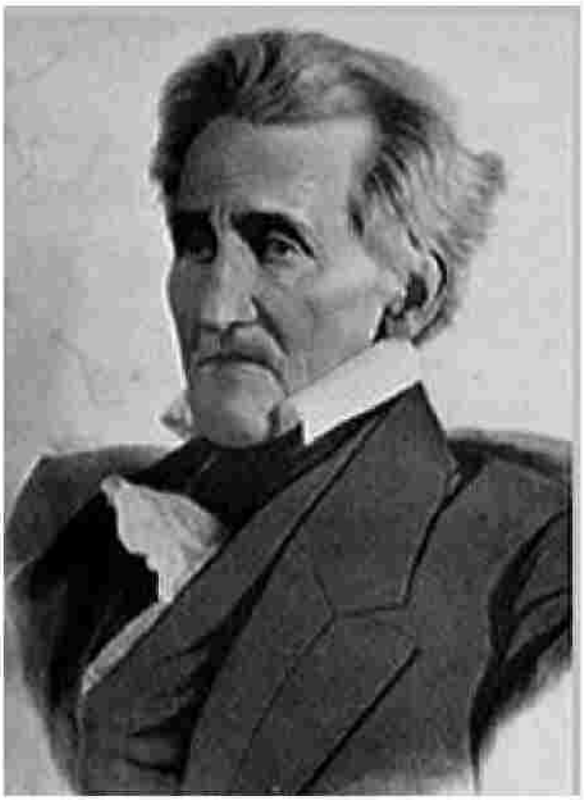

Andrew Jackson أندرو جاكسون ١٧٦٧ – ١٨٤٥م

والصهيوني غير اليهودي وليام بلاكستون (١٨٤١ – ١٩٣٥م) يُعتبر المؤسس الفعلي للوبي الصهيوني في أمريكا، ويُعتبر أشهر مسيحي أمريكي نذر حياته للعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، كانت له نشاطات واسعة منها أنه كتب للرئيس الأمريكي وجمع التواقيع من ذوي السلطة والجاه، وطلب منه إعادة اليهود إلى فلسطين، ولاقى هذا معارضة غير قليلة، لكن الولايات الأمريكية أيدت وعد بلفور لأن مصالحها الاستراتيجية بما فيها أن يكون لها كلمة في الشرق الأوسط هي ما دفعت إلى ذلك، لهذا جعلها تقبل وعد بلفور رغم احتجاجات الجماعات اليهودية التوطينية في أمريكا.

منتصف القرن التاسع عشر كانت الأقلية اليهودية الإصلاحية الألمانية ترفض قدوم اليهود المهاجرين الأرثوذكس المتخلفين حضاريًا الذين يتحدثون اليديشية،

واختارت الدولة أن تفتح باب الهجرة بسبب متطلبات المصالح الأمريكية، فقدم الملايين من شرق أوروبا حتى أصبحوا غالبية يهود الولايات المتحدة، وفي عام ١٩٢٤م بسبب الأحوال الاقتصادية أصدرت أمريكا عدة قوانين للحد من الهجرة فتناقص عدد المهاجرون اليهود إلى أعداد سنوية متدنية، عام ١٩٢١م قبلت ١١٩ ألفًا من المهاجرين اليهود، وفي عام ١٩٣٢م ورغم أن الحرب العالمية الثانية كانت تقترب، والمفترض من الناحية الإنسانية أن تقبل أعدادًا أكبر إلا أنها لم تقبل في ذلك العام، وحسب ما ذُكِرَ في موسوعة عبد الوهاب المسيري، سوى ٢٧٥٥ فقط، ولأن أمريكا دولة استيطان فإن القرارات كانت قرارات استراتيجية، لهذا نجدها في فترة صعود النازية والحرب (١٩٣٣ – ١٩٤٨م) رفضت دول الغرب كلها بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية قبول المهاجرين اليهود.

هذا، وقد قيل بإن الجنرال "دوايت ايزنهاور" قائد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في أوروبا (أصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد)، رفض إعطاء الأوامر للقوات الجوية بضرب قضبان خطوط السكك الحديدية في ألمانيا، تلك التي كانت تؤدي إلى معسكرات الإبادة لوقف نقل اليهود إليها، ومهما كان التكهن أو الحيرة في موقف الجنرال ايزنهاور فإن القرار لم يكن من ايزنهاور بل هو من سلطات سياسية عُليا، وخبراء استراتيجيين يقيسون شدة رياح السياسة العالمية، في عام ١٩٤٨م بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، اعترفت بها الولايات المتحدة بل واعترفت بها بعد عشر دقائق من إعلان ديفيد بن جوريون قيامها، لم يكن اللوبي الصهيوني في ذلك الوقت كما نعهده الآن من قوة وتأثير، وكان الرئيس الأمريكي يملك لو أراد بأن يتحدى المنظمة الصهيونية بلوبي قومي مضاد بل ويوجد تحالف لوبي قوي يُمثل جماعات اثنية مختلفة أخرى، كان باختصار يستطيع أن يؤجل الاعتراف بإسرائيل، لكنها المصالح الاستراتيجية الأمريكية التي لها الأولوية.

كانت أمريكا أكثر وضوحًا خلال أزمة السويس أو ما أطلق عليه "العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م"، فلأسباب وطنية قام الزعيم "جمال عبد الناصر" بإعلان

تأميم الشركة العالمية لقناة السويس، فثارت حفيظة بريطانيا وفرنسا، وإسرائيل كما نعلم دولة وظيفية في المنطقة، تآمرت الثلاث دول سرًا من خلف ظهر الولايات المتحدة، ووضعت خطة العدوان وقامت بشن حرب على مصر، كان دور إسرائيل أن تحتل قطاع غزة الجزء الفلسطيني الذي كانت تديره مصر، وأن تحتل أيضًا صحراء سيناء المصرية، وبعد ذلك تُصدر بريطانيا وفرنسا بلاغًا مشتركًا، تطلب فيه من مصر وإسرائيل أن تبتعدا عن مجرى قناة السويس مسافة عشرة كيلومترات من كل جانب (المصريون غربًا والإسرائيليون شرقًا) ثم تقوم القوات البريطانية والفرنسية بعمل إنزال عسكري في منطقة القناة بحجة حماية الملاحة الدولية، وهما يقصدان إعادة احتلال مصر بعد أن كانت قد خرجت منها القوات البريطانية قبل شهور من نفس العام.

كانت حجة العدوان واضحة لا لبس فيها، رفضت مصر الإنذار البريطاني الفرنسي وبدأت الحرب، قامت إسرائيل بدورها كما كان مخططًا، فاحتلت قطاع غزة واحتلت صحراء سيناء، وباشرت القوات البريطانية والفرنسية دخول المعركة، ما كادت تبدأ الحرب إلا ووقف الرئيس الأمريكي "دوايت ايزنهاور" موقفًا صلبًا غير عاديًا ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، شجب العدوان وطالب بإيقافه فورًا بدون شروط للغزاة، ورفض أن تعطي إسرائيل أي ميزة في سيناء أو غزة، ولمَّا تلكأ بن جورين في الانسحاب من الأراضي التي احتلها بالتحايل، ووضع الأسباب والمبررات، أمرته أمريكا بأن يسحب قواته خلال أيام قليلة دون قيد أو شرط.

كانت أمريكا حتى تلك السنة قد استعدت لمد نفوذها في المنطقة لكي تحل مكان الإمبراطوريتين العجوزين، ولم يكن للوبي الصهيوني أثر على ذلك الموقف حينما أضحى من الضروري تأديب إسرائيل التي وقفت في طريق المخطط الأمريكي في المنطقة، هذا ولم تشن إسرائيل حرب عام ١٩٦٧م على العرب إلا بأخذ الضوء الأخضر من أمريكا بل إنها لا تشن حربًا على أي دولة عربية إلا بموافقة أمريكية.

Dwight Eisenhower دوايت ايزنهاور ١٨٩٠ – ١٩٦٩م

لم يمض سوى عام واحد على عدوان عام ١٩٥٦ م على مصر، إلا وظهرت أمريكا بزعم أن هناك فراغًا أمنيًا في الشرق الأوسط ولا بد من ملئه، جمال عبد الناصر كزعيم قومي للمنطقة العربية كان قد رفض باسم مصر الانضمام إلى المعاهدة المركزية بزعامة أمريكا (حلف بغداد)، التي كانت تضم كل من: باكستان، إيران، العراق، تركيا، وذلك بهدف منع الاتحاد السوفييتي من الوصول إلى مناطق البترول، كانت حجة أمريكا أنه يوجد فراغ أمني في الشرق الأوسط، وكان رد جمال عبد الناصر آنذاك على وزير الخارجية الأمريكية "جون فوستر دالاس" صاحب نظرية حافة الهاوية أيام الحرب الباردة بين السوفييت والأمريكان، "لا يوجد فراغ في الشرق الأوسط، فالأمة العربية موجودة في هذه المنطقة وهي المسئولة عنها، وإن وُجِدَ عدم استقرار فإن سببه هو وجود إسرائيل في فلسطين"، يومها قرر من قرر أنه يتوجب أن يُزال جمال عبد الناصر، فكانت حرب ١٩٦٧م (حرب الأيام الستة) وانتهى دور جمال عبد الناصر في المنطقة كما انتهى دور العراق بعد احتلاله عام ٢٠٠٣م.

John Foster Dulles جون فوستر دلاس ١٨٨٨ – ١٩٥٩ م

هذا، وقد تطورت العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م وبعد حرب العبور المصرية السورية مع إسرائيل، كما أعيد تنظيم ايباك (تحالف أركان التنظيمات الصهيونية في أمريكا)، واتسع النفوذ الصهيوني وأصبح أكثر فاعلية، وحينما حاولت إسرائيل أن تُشعر الآخرين بأنها أضحت دولة مستقلة، جاء الاختبار مخيبًا للآمال فكانت حادثة "جوناثان بولارد" اليهودي الأمريكي، الذي كان يعمل موظفًا فقام بالتجسس على أمريكا لحساب إسرائيل، اكتُشِفَ أمره وقُبِضَ عليه وحوكم وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عامًا مع النفاذ، ظلت إسرائيل وحلفاؤها في أمريكا يطالبون بإخلاء سبيله دون أن يحصلوا على فائدة، إذن أين نفوذ اللوبي الصهيوني؟ وأين الإعلام الصهيوني؟ الإعلام الصهيوني ما زال صامتًا، وسيبقى كذلك في قضية بولارد، لأن هناك خط أحمر لا يمكن تجاوزه، إنها المصالح العُليا الأمريكية.

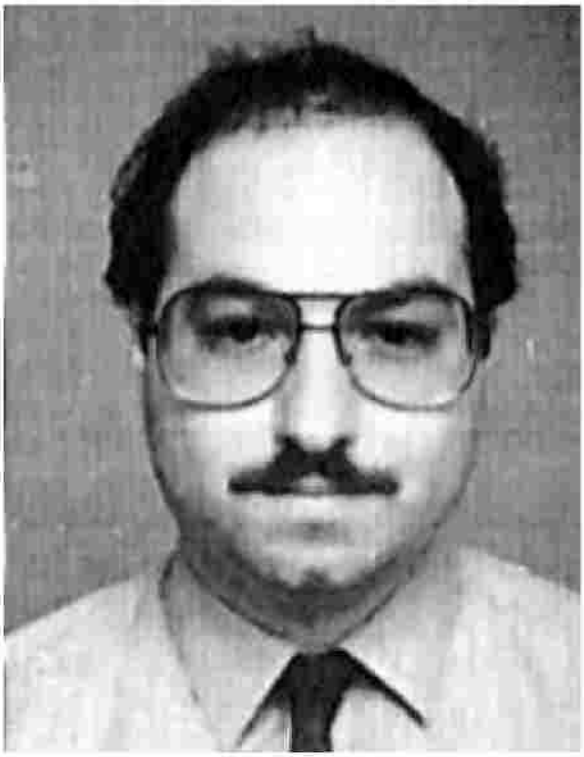

Jonathan Pollard جوناثان بولارد (الجاسوس الإسرائيلي)

خلال حرب ما أطلق عليه تحرير الكويت، لم يتخيل الأمريكان أن يحارب معهم ضد العراق الجندي السوري أو المصري والعربي بصفة عامة، ويكون بجانبه الجندي الإسرائيلي، لذا طلبت أمريكا من إسرائيل أن تلتزم الصمت مهما حدث، فتلقت إسرائيل صواريخ العراق ولم تجرؤ على تحريك ساكن، وسمي هذا بضبط النفس، ولم يهمس الإعلام الصهيوني في أمريكا بشيء لأنه يعلم متى ينطق ومتى يصمت، هي أيضًا المصالح الاستراتيجية الأمريكية.

من الملاحظ أن الرؤساء الجمهوريين في أمريكا هم أكثر انحيازًا للدولة الصهيونية رغم أن معظم أصوات اليهود الأمريكان تذهب إلى الحزب الديمقراطي وأن انتخابات الكونجرس والشيوخ تُشير إلى تناقص اليهود في المجلسين، ورغم ذلك لم يتناقص تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل، كما أن رأس المال اليهودي لم يعد هو الطاغي في الولايات المتحدة، فإن أقل من نصف أغنى الأغنياء في أمريكا

هم من اليهود، فبمقارنة مع ما مضى حينما كان معظم رأس المال بيد اليهود نجد أن الانحياز لإسرائيل لم يتناقص، أما الإعلام فإن كثيرًا من الأمريكان من غير اليهود دخلوا صناعة الإعلام وتزداد نسبتهم مع الأيام، ومع ذلك لم يتراجع معدل الانحياز لإسرائيل لدى الإدارة الأمريكية.

قد يلفت النظر أحيانًا أن بعض الإدارات الأمريكية كانت توظف عددًا لا بأس به من اليهود في المراكز الحساسة، مثل ما كان يومًا مع الجمهوريين، اليهودي "هنري كيسنجر" حينما كان يجمع بين منصبي مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية في عهد الرئيس نيكسون، ومثل إدارة الرئيس "بيل كلينتون" حينما عمل فيها عدد من اليهود في المراكز الحساسة، مستشار الأمن القومي كان يهوديًا، وزيرة الخارجية "مادلين ألبرايت"، وغيرهم من المستشارين والموظفين في طاقم وزارة الخارجية كانوا من اليهود الأمريكان، لكن عملية صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، هي عملية مؤسسية منظمة في غاية التركيب، كما أن اليهود ليسوا جماعة الضغط الوحيدة أو اللوبي الوحيد في المجتمع الأمريكي، فهناك اللوبي الكاثوليكي وغيره، لكن يجب ألا نغفل أن جماعات الضغط بصفة عامة تستطيع أن تؤثر في مناطق صنع القرار من ناحية تعديل القرار أو تأخيره، وفي هذه الحالة تكون النتائج هي غيرها، فالنجاح في تأخير القرار مثلاً، قد يفوِّت الفرصة في أمر ما، وحينما يأتي الوقت يكون الوقت قد فات، فيصبح القرار كأنه لم يكن، خصوصًا إذا كان في غير صالح إسرائيل أصلاً، ومثلما يتم التنسيق أحيانًا بين المنظمة الصهيونية والدولة في إسرائيل بخصوص أمر له علاقة بتصلب إحدى الإدارات الأمريكية، في أمر يخص إسرائيل، أو مُنصفًا للعرب خصوصًا في سنة الانتخابات الأمريكية، في هذه الحالة تعمل إسرائيل تحت غطاء الصهيونية في البحث عن أي وسيلة أو سبب وتضخِّمه وتخلق الأعذار، وتشرع في وضع العقبات فيكون الوقت قد مرَّ، ويذهب الرئيس وإدارته وتنجو إسرائيل من إجبارها على شيء تراه غير مناسبًا لها، وغير هذا تظل المصلحة الأمريكية العليا هي الدافع لاتخاذ المواقف الرسمية في أمريكا.

لماذا ازداد النفوذ الصهيوني اليهودي داخل الولايات المتحدة بعد الفترة (١٩٦٧ – ١٩٧٤م)؟ بغَض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى، ازداد النفوذ الصهيوني بسبب ازدياد اعتماد أمريكا على إسرائيل في أمور أمنية كثيرة في المنطقة، وهذا أيضًا يُعتبر ضمن إطار المصالح العليا الأمريكية، فالعرب في المنطقة ليسوا عرب ما قبل تسعينات القرن العشرين، كما أن العالم قد تغير، ومسئولية أمريكا كزعيمة للحضارة الغربية قد ازدادت، وهي في حاجة إلى الدول الوظيفية لكي تنوب عنها في صنع الاستقرار في العالم الذي تسيطر عليه، وإسرائيل دولة مهيأة من الأساس لكي تكون دولة وظيفية، وهي عوضًا عن إنها مستأنسة إلى أبعد الحدود، وجزء عضوي من الغرب الذي تمثله الآن الولايات المتحدة الأمريكية، عوضًا على أن لإسرائيل أيضًا مصالح تتطابق كثيرًا مع مصالح الولايات المتحدة، من هنا راحت الولايات المتحدة تعتمد على إسرائيل أكثر فأكثر، مثل كلب حراسة تُطلقه متى تريد وتحبسه متى تريد، من هنا انتعش الصهاينة أكثر من الماضي في الولايات المتحدة، وصاروا يظهرون علنًا ويُجاهرون بولائهم لإسرائيل، وكأن إسرائيل تقاسمت معهم عبء إقناع الشعب الأمريكي ممثلاً بقيادته بأن إسرائيل دولة لا يستغنى عنها في حفظ المصالح الأمريكية في منطقة حساسة من العالم، ولا خوف منها كونها تعتمد في أمنها وسلاحها على الولايات المتحدة، وهي في نفس الوقت مكروهة ممن حولها من أهل المنطقة، ولا ملاذ لها سوى الغرب وأمريكا بالذات، فالاتحاد الأوروبي يحلم بأن يستعيد نفوذه في المنطقة العربية على حساب نفوذ الولايات المتحدة، وهذا لن يتم إلا إذا كان على حساب الدولة الصهيونية.

لكن هناك من العرب أيضًا من ملَّ من سماع الحديث عن اللوبي الصهيوني في أمريكا ومقدرته الخارقة في السيطرة على القرار الأمريكي، فبين الأخذ والرد يجد ذلك الرأي بأن الطريق يكاد أن يكون مسدودًا للوصول إلى قناعة لكي يتفق المنطق مع الواقع، فهل يُعقل مثلاً أن يكون هذا الغرب الحضاري الذي ضجيجه العلمي والثقافي وما وصل إليه من هذا الرقي والحضارة، هل يُعقل أن يكون هذا

العالم الغربي الذي أوجد الدولة الصهيونية نفسها، يتحكم به لوبي صهيوني في هذه الدولة وتلك؟ هل لو تخيلنا أن هذا العالم بلا يهود وبلا إسرائيل كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، ألا يعقل ألا تبحث أمريكا عن حليف آخر على شاكلة إسرائيل، لكي توكل إليها بعض الأعمال!

لماذا لا نتصور أن الصهيونية نفسها هي من يقوم بالدعاية، وهي من يعمل على تمرير خطابها الإعلامي إلينا نحن العرب، لكي توحي بأنها فعلاً قادرة ودائمة، وبذلك ننحني ونستسلم ونقتنع ونيأس، ونقول لأنفسنا لا فائدة من الصمود أو مناطحة جبل كبير هو الصهيونية، لماذا لا نعتبر أن إسرائيل واللوبي الصهيوني معًا، يروجان لأسطورة هيمنة الصهيونية على القرار الأمريكي كون إسرائيل قائمة بواجبها كما خصصت له، وما يشاع عن نفوذها في الولايات المتحدة، ما هو إلا لبَّث الروح المعنوية عند الصهاينة في كل مكان، وحقنهم بشيء من الثقة لكي يستمر المشروع الصهيوني في فلسطين! فلو أردنا أن نُقيِّم الأمر بطريقة أخرى وبقليل من الحذر، فهل يمكننا أن نقول بإن النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة يزداد بطريقة مطردة كلما ضعف العرب أمام إسرائيل، وكلما انعكس هذا على تأثير اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، لأن تأثير إسرائيل والصهيونية يصير أكثر كلما أبلت إسرائيل أفضل ضد العرب، لأن نجاح إسرائيل وهيمنتها في المنطقة يقنع أمريكا أكثر فأكثر بأن وجود إسرائيل كدولة وظيفية يصبح كلما مرَّت الأيام هام وأساسي للولايات المتحدة الأمريكية، فيذهب الطرفان الإسرائيلي والأمريكي للبحث عن صيغة أفضل من الوضع الحالي، فإسرائيل واللوبي الصهيوني يهدفان إلى أن تتحول إسرائيل من التبعية والطاعة لأمريكا إلى الشراكة والصداقة والتحالف.

إن ما يحدث في غياب الحقيقة الضائعة من عدم اتضاح في الرؤية، ومن القصور في تفسير حقيقة أثر اللوبي الصهيوني والنفوذ الإسرائيلي في الولايات المتحدة، هو أيضًا يُعطي دفعة قوية للموقف الصهيوني، الذي يُرحِّل الصراع العربي الإسرائيلي من ساحة المعركة في فلسطين لكي يصبح ميدانه العواصم الغربية

لندن وباريس وواشنطن، إن الاقتناع بقوة اللوبي الصهيوني في أمريكا وتأثيره، سواء كان ذلك تضليلاً إسرائيليًا أم حقيقة، يجعل الأنظمة العربية تنزل عن كاهلها مسئولية ما يحدث للشعب الفلسطيني على يد إسرائيل خوفًا واقتناعًا بعدم الفائدة من الصدام مع الغرب، فلا تجد الأنظمة العربية والحال هكذا، سوى أن تُسلم أوراقها للحكومات الأوروبية لكي تتوسط لدى أمريكا وإسرائيل لكي تحصل في أحسن الأحوال على وعد بألا تُفرط إسرائيل في استعمال القوة ضد الفلسطينيين أو لرفع أحد الحواجز المنتشرة بين مدن وبلدات الضفة الغربية أو للسماح بإدخال بعض المواد الضرورية إلى قطاع غزة المحاصر.

لا شك بأن الإعلام الصهيوني دائمًا يقظ ومتحفز وناضج، ويلائم أمزجة المجتمعات التي يخاطبها بسبب التخصص والكفاءة، وهو بهذا يقوم بالدور الذي تحتاجه إسرائيل، في المقابل إن الإعلام العربي ما زال طفوليًا في أحسن الأحوال ويحاول أن يتحسس طريقه، وإن كان على صعيد الأفراد لا المؤسسات فإنه يحتوي على عينات بشرية وفكرية لم تعطي الفرصة بعد من خلال مؤسسات إعلامية حديثة، فالإعلام العربي في مُجمله ما زال موجهًا من قبل الأنظمة العربية التي تعطي الأوامر للإعلاميين فتجعل المولود مخلوقًا مشوهًا، وهذا في حد ذاته يضاعف أثر التفوق الإعلامي الصهيوني على العرب، أثناء ترشيح اليوناني الأمريكي الأصل "مايكل دوكاكس" للرئاسة الأمريكية، ركز الإعلام العربي على زوجته "كيتي دوكاكس" لأنها يهودية، واعتبر أن في حال أن يجلس هذا الرجل على كرسي الحكم سيكون القول الفصل للوبي الصهيوني في أمريكا، ولما سُئِلَ المسئول الرسمي في تركيا عن رأيه في مرشح الرئاسة دوكاكس كونه يوناني الأصل، وعداء اليونانيين والأتراك عميق، أجاب بكل أريحية "إن الولايات المتحدة لها مصالح استراتيجية لا تتبدل، وأيًا كان أصل الرئيس القادم لن يجد سوى التمسك بها"، التساؤل العام الذي يفرض نفسه علينا صبحًا ومساءً، هل كل السلبيات عندنا سببها إسرائيل أو الإعلام الصهيوني أو تجاهل الغرب لقضايانا أم

أن هناك أشياء نحن فقط مسئولون عنها، ولن يعالجها أحد سوانا حتى لو انتظرنا ألف عام!

من الملاحظ أو كما أسلفنا في لمحة عابرة، بأن معظم أصوات اليهود في الانتخابات الأمريكية تذهب إلى الحزب الديمقراطي وليس للحزب الجمهوري، ونُلاحظ أيضًا بأن الحزب الجمهوري أكثر تأييدًا لإسرائيل من الحزب الديمقراطي وقد ألمحنا إلى هذا في عبارات سابقة بالكتاب، فكيف يكون ذلك؟ ألا يعتبر هذا شيئًا غير عاديًا، ورغم ذلك فإنه يحدث في وضح النهار وتحت ضوء الشمس بل كيف يتم ذلك، وكيف يتم التوافق والقبول والرضا، فبالحسابات العادية كان يجب أن يتراجع الحزب الجمهوري عن تأييد إسرائيل ما دامت جماعات الضغط تدفع أفرادها بإعطاء أصواتهم للحزب الديمقراطي على حساب الحزب الجمهوري المساند بل المتحمس للدولة الصهيونية!

دعنا نُعيد الحساب بمراجعة قصيرة كلازمة للتحضير إلى شرح الفكرة لحل لغز تأييد الحزب الجمهوري لإسرائيل بحماس وتفاني، فربما نستنتج شيئًا قد يكون ليس جديدًا، إنما الجديد فيه إننا سنحاول أن نتعرف، على كيف يُفكر الآخرون من اليهود الأمريكيين، والأمريكان الجمهوريين المسيحيين.

من المعروف أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع المهاجرين فليس به ثقافة واحدة عميقة راسخة، لذلك هو لا يهتم بالتاريخ، المهاجرون اليهود هم أكثر المهاجرين الذي استوعبوا نظام الحياة الأمريكية لأنها لا تتصادم مع ما أتوا به من عادات وتقاليد، وقد أتى معظم اليهود من شرق أوروبا، وحتى هؤلاء فقد أتوا بشيء قليل من ثقافة قديمة كانت تتناقص وتتعدل خلال القرون من عيشهم في مجتمعات ذات أصول ثقافية غير يهودية، لذلك نجد أن كل الدراسات تؤكد بأن نسبة كبيرة من المهاجرين إلى أمريكا من كل الأجناس كانوا يعودون إلى بلادهم، لأن غير اليهود كانوا يأتون للبحث عن فرص لحياة أفضل، أما المهاجرون اليهود فقد أتوا واندمجوا واختاروا الحياة الأمريكية، ومعظمهم يرون بأن أرض الميعاد هي الأرض الأمريكية لأنها أرض اللبن والعسل.

في المقابل نجد أن في المجتمع الأمريكي صحوة دينية مسيحية يقودها الجمهوريون، الذين كثيرًا منهم يؤمنون بالتفسير الحرفي للتوراة، ومقتنعون بعودة المسيح المُخلِّص لكي يُقيم دولة الله على الأرض وتكون عاصمتها القدس، لذلك نجد الجمهوريين يندفعون بحرارة في تأييدهم لإسرائيل

Ronald Reagan رونالد ريجان ١٩١١ – ٢٠٠٤م

لم يخف يومًا الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان" أثناء وجوده في سدة الحكم خلال الحديث عن أمر له علاقة بإسرائيل، قال بإنه فخور بالتراث اليهودي على ما قدَّمه للبشرية، من هنا نجد الجمهوريين يقيمون الكنائس ويدعون إلى الصلوات، ويحرصون إلى الذهاب إلى الكنائس لحضور صلوات أيام الآحاد، لو عدنا إلى الذاكرة إلى ما كان يحدث في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعملنا مقارنة بسيطة بين الظروف التي كانت في تلك المجتمعات بالنسبة

للمهاجرين اليهود القادمين من أوروبا الشرقية، وبين التوطينيين اليهود الآن في الولايات المتحدة، فماذا نلاحظ؟

نجد أن زعماء الحركة الصهيونية في أوروبا كانوا حلفاء طبيعيين مع أعداء السامية ومع زعماء الحكومات الأوروبية، وكان الجميع يريدون أن يرحلوا اليهود إلى فلسطين، وهنا لماذا لا نعتبر أن الجمهوريين ومن شابههم في الولايات المتحدة هم كالزعماء والساسة الأوروبيين الذين كانوا يودون التخلص أيضًا من الفائض اليهودي في أوروبا، لماذا لا نعتبر أن إسرائيل حليف الجمهوريين هي الصهيونية الاستيطانية التي تدعوا إلى ترحيل اليهود الأمريكيين إلى إسرائيل ولكن بأسلوب إقناع جديد، والسؤال هنا هل المجتمع الأمريكي سيُعيد يومًا سيناريو التضييق على اليهود الذي مارسته المجتمعات الأوروبية حتى قيام وعد بلفور عام ١٩١٧م!

والحقيقة أنه منذ عام ١٨٤٠م أصبح للجالية اليهودية في أمريكا تأثير خصوصًا في سياستها الخارجية، وأصبح للولايات المتحدة تأثير عالمي، فمنذ تلك الأيام شرَّعت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل لدى دولة الخلافة العثمانية للتحقيق فيما كان يؤثر على استقرار الجالية اليهودية في سوريا، وظلت أمريكا لعدة عقود متتالية تضع ضغوطًا على سويسرا حتى وضعت قوانين الحقوق المدنية عام ١٨٦٤م، وذلك للتخفيف عن اليهود فيها، كما أن الولايات المتحدة كان لها حضور من أجل اليهود في كل من المغرب وصربيا ورومانيا وروسيا وحتى في فلسطين أيضًا أيام الحكم العثماني.